التوحد والاغتراب في فلسفة ابن باجة

مليكة عمرون

قسم الفلسفة، جامعة وهران

يمكن القول أن من أصعب المشاكل التي تعترض الانسان هي تلك المسائل التي يمكن اعطائها حلا قاطعا، لا سيما اذا كان الجدل حولها دائر بين مفكر وآخر، والاغتراب أهم وأكثر المسائل اثارة للجدل، لا بسبب غموض معناه فقط، وانما بسبب التعريفات الكثيرة التي وضعت له وكثرة اتساعها واستعمالها وكثرة العلوم والاتجاهات التي تناولته بالبحث والتحليل والاختلاف في تحديد بداياته كفكرة تم تأسيسها كفلسفة للاغتراب.

وقد ظهر معنى الاغتراب جليا عند أحد الفلاسفة وهو ابن طفيل في مؤلفه "حي بن يقظان" والذي استلهم فكرته عن رائد من رواد الفلسفة في الغرب والذي تواجد قبل "ابن رشد " ألا وهو" ابن باجة " ذلك الفيلسوف الذي عانى كثيرا من الاغتراب لأنه تواجد في ظروف اجتماعية وسياسية وفكرية أليمة بالرغم من حياته القصيرة لكنه بالفعل أسس اتجاها فلسفيا انسانيا في الفكر العربي والإسلامي محاولا جعل الاغتراب خلاصا له على طريقته الخاصة وانعكس ذلك في مؤلفاته وخاصة " تدبير المتوحد " الذي صور فيه حياته الخاصة وتأملاته الداخلية كردة فعل شخصية لحياة مضطربة في زمن مضطرب، وذلك دافع لطرح الاشكال التالي: ما مفهوم الاغتراب عند ابن باجة؟ وتتحدد لدينا تساؤلات فرعية: وماذا عن مؤلفه تدبير المتوحد؟ هل هو رؤية منفردة لأساس الاغتراب والتوحد؟ وما هي صلة المتوحد بالغريب؟ وكيف جعل ابن باجة الاغتراب خلاصا للمتوحد؟.

أولا :التعريف بابن باجة ومؤلفاته

هو أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ، المعروف بابن باجة، ويطلق عليه رجال المدرسة اللاتينية في أوروبا اسم Avempace ولد في سرقسطة

قرب نهاية القرن الخامس هجري وعاش في تلك المدينة إبان حكم المستعين الثاني (478-503هـ/1085-1109م) آخر أمراء بني هود حكام سرقسطة وماردة وطليطلة .

ويبدو أن أسرته كانت تشتغل بالصياغة، صياغة الجواهر لأن كلمة باجة معناها: الفضة باللهجة العربية الأندلسية في ذلك العصر، ويدو أن الفيلسوف قد اشتغل مدة بهذه المهنة.

قضى حياته كلها في ظل دولة المرابطين الذين كانوا يحكمون المغرب الاسلامي حينذاك وكان عصر اضطهاد للفكر وأصحابه و"ترجع أهمية هذا الفيلسوف إلى تأثيره الكبير على ابن رشد وعلى ألبرت الكبير"[(1)].
و يقول المؤرخون أن ابن باجة استوزر لأبي بكر بن ابراهيم الذي كان واليا على غرناطة ثم على سرقسطة، ودامت وزارته عشرين عاما، وبعد سقوط سرقسطة رحل ابن باجة عنها إلى إشبيلية سنة513 هـ حيث وضع فيها كثيرا من مؤلفاته ثم قصد بعد ذلك إلى غرناطة ومن بعدها إلى فاس حيث أقبل على بلاد المرابطين فيها.

لقد برز في الكثير من العلوم: فكان لغويا وشاعرا وموسيقيا وفيلسوفا "وقد عرف ابن باجة حبه للعزلة وتذوقه للموسيقى كالفارابي وهو بالفعل قد تأثر بالمعلم الثاني في حياته ومذهبه وقد أشاد ابن طفيل بعمق تفكير ابن باجة وأصالته الفكرية"[(2)]

و في غرناطة بالذات أحاطت به الدسائس إلى أن مات مسموما على يد الطيب ابن زهر الذي عرف بحقده له وحسده عليه "ومن الغريب في الأمر أن فيلسوفا يقع فريسة لفيلسوف اخر الأمر الذي لم يتفق مثله في تاريخ الفلاسفة."[(3)]
كان ابن باجة من الصفوة الممتازة التي تنوعت أنواع المعارف التي ألم بها وتعددت مؤلفاته بتعدد النواحي العلمي والفلسفية والأدبية التي شارك

---

[1]- أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1986، ص 553.
[2]- المرجع نفسه ، ص 552.
[3]- الموسوي موسى، من الكندي إلى ابن رشد، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983، ص 186.

فيها." وقد وصفه الكاتب الغرناطي الشهير علي بن عبد العزيز ابن الامام الذي كان تلميذا أو مصاحبا له بأنه أعجوبة دهره ونادرة الفلك في زمانه وإذا قورنت أقاويله في العلوم العقلية بأقاويل ابن سينا والغزالي بأن لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو والثلاثة أئمة دون ريب"[1].

فهو فيلسوف ورياضي وأديب وشاعر مجيد له من الشعر الرقيق الشيء الكثير وهو في نفس الوقت عالم بالطب وفي العلوم الطبيعية وله في الفنون الموسيقية تبحر وآراء."وهذا ابن طفيل يصف لنا ابن باجة بقوله: " ثم خلق من بعدهم خلق آخر أحذق منهم نظرا واقرب الى الحقيقة ولم يكن فيهم أثقب ذهنا ولا أصلح نظرا ولا اصدق روية من أبي بكر الصائغ، غير أنه شغلته الدنيا حتى اخترته المنية قبل ظهور خزائن علمه وخفايا حكمته".[2] يذكر أن لابن باجة عدة شروحات لمؤلفات أرسطو (في الطبيعة، وعلم الاثار العلوية، وكتاب التوالد، وتاريخ الحيوان).

أما كتاباته الفلسفية المهمة فلم ينه تأليفها ويشير ابن طفيل إلى ذلك (الفصل5) في معرض أشادته لعمق تفكير الرجل، والتأسف على حظه العاثر، تتضمن كتاباته هذه رسائل مختلفة في المنطق، رسالة في النفس، ورسالة في اتصال العقل الانساني بالعقل الفعال وهي مسألة يعود إليها ابن باجة في "رسالة الوداع " وأخيرا هناك الرسالة التي تعزى اليها شهرة ابن باجة وعنوانها: تدبير المتوحد"[3].

لقد كان للمستشرق "س. مونك" فيما مضى، دراسة حول الكتاب الأكبر، لابن باجة، لكن النسخة الأصلية من هذه الدراسة بقيت ناقصة ولم يكتشفها، حديثا إلا المستشرق "أسين بلاسيوس".

و كان الفيلسوف اليهودي "موسى النربوني" قد قام بدراسة لها هو الآخر وأتى على ذكرها مرارا، في شرح له بالعبرية لرسالة حي ابن يقظان لابن

1- الموسوي موسى. مرجع سابق. ص 187.

2- المرجع نفسه. ص 187.

3- كوربان هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تر: مروة نصير، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1977. ص 342.

طفيل.[1]،ولقد نشر أسين بلاسيوس أربع رسائل هي: في النبات – رسالة الاتصال– رسالة الوداع – تدبير المتوحد."وأعاد ماجد فخري نشر الثلاثة الأخيرة ونشر عن مخطوط مكتبة بودلي في أكسفورد الرسائل التالية: في الغاية الانسانية- قول له يتلو رسالة الوداع- في الأمور التي يمكن بها الوقوف على العقل الفعال، وذلك في مجموعة بعنوان:

"رسائل ابن باجة الالهية" بيروت سنة 1968، كما نشر "شرح السماح الطبيعي" لابن باجة بيروت سنة 1973"[2].

1- الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية

يتكون العالم الاسلامي في المغرب: من شمال غرب افريقيا ومن اسبانيا وصقلية، وأول ما يعنينا هو أن نتكلم عن اسبانيا الإسلامية أو الأندلس فذلك أقرب إلى غرضنا، فكان القرن الرابع في الاندلس يضاهي القرن الثالث في المشرق وفي كليهما بلغت الحضارة المادية والعقلية أوج رقيها ونستطيع أن نقول بالإجمال إن الحياة العقلية كانت في المغرب ابسط في صورتها وإن طبقات الثقافة القديمة كانت أقل تنوعا.و"كان في الأندلس إلى جانب المسلمين يهود ونصارى اخذوا في عهد عبد الرحمن الثالث بنصيب في الثقافة المطبوعة بالطابع العربي ولم يدخل في الأندلس إلا مذهب فقهي واحد هو مذهب الإمام مالك، ولم يكن فيها معتزلة يعكرون بمذهبهم الكلامي سلام الدين على أن شعراء الأندلس كانوا يذكرون في قصائدهم أمورا ثلاثة:الخمر والمرأة والغناء"[3].

وكان المغرب يعتمد في حضارته العقلية على المشرق بوجه عام ومنذ القرن العاشر الميلادي أعني الرابع هجري شرع الناس يرتحلون من الأندلس إلى المشرق طلبا للعمل." وفي عام (403هـ-1013م) خرب البربر

1- كوربان هنري، مرجع سابق ، ص ص 344-345.

2- بدوي عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1، 1981. ط 1. ص 12.

3- دي بور ث.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تر:أبو ريدة محمد عبد الهادي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط). 1980. ص 370.

مدينة قرطبة بعد أن كانت زينة الدنيا وانحلت دولة بني أمية إلى دول الطوائف، ولكنها ازدهرت مرة أخرى أثناء القرن الخامس الهجري وهو العصر الذهبي للأندلس فقد ازدهر فيه الفن والشعر في قصور الأمراء في مختلف المدن، وطغى طغيانا قويا فوق أنقاض المجد القديم ثم تهذبت الفنون وبدأت الحكمة تدخل في الشعر وزادت دقة التفكير العلمي"[1].

ثم دخلت الفلسفة الطبيعية في الأندلس وكتب إخوان الصفاء وفي اخر القرن الخامس نلمس تأثير مؤلفات الفارابي وفي هذا القرن أيضا عرف "قانون" ابن سينا في الطب.

وقد ظل عدد الذين تعمقوا في دراسة الفلسفة بين المسلمين قليلا جدا ولم يقم بالأندلس أساتذة يلتف حولهم طائفة كبيرة من الطلاب وكان يندر أن تقام المجالس العلمية التي تدور فيها مناقشات في مواضيع فلسفية "فلا بد أن المفكر المستقل كان يشعر هناك بوحشة ووحدة كبيرة "[2].وقد تكونت الفلسفة في المغرب، كما تكونت في المشرق فينفوس أفراد حركتهم الرغبة إليها، غير أنها كانت في المغرب هم أفراد متفرقين لا تربطهم مجالس، وكانت فوق هذا أبعد عن عقيدة الجمهور،" وكان يوجد في المشرق درجات كثيرة متوسطة بين العقيدة الدينية وبين العلم، أعني بين عامة المؤمنين وبين الفلاسفة، ولذلك كانت مشكل المفكر الحر إزاء الدولة وإزاء الجمهور المتعصب الضيق العقل أكثر حدة في المغرب منها في المشرق.[3]

في هذه البيئة الاجتماعية والسياسية والفكرية ولد ابن باجة قرب نهاية القرن 5هـ في سرقسطة، فكانت مملكة الأندلس الزاهرة على وشك الانحلال إلى دويلات صغيرة، وكان يهددها من الشمال فرسان النصارى الذين كانوا أقل من العرب ثقافة لكنهم كانوا شجعانا أقوياء غير أن أسرة المرابطين البربرية جاءت لإنقاذ البلاد ولم يكن المرابطون أكثر تمسكا بالدين فحسب، بلأكثر حنكة واحذق أيضا بأساليب السياسة من أسر الأندلس

---

[1]- دي بور ت.ج، مرجع سابق، ص 371.

[2]-المرجع نفسه، ص 372.

[3]-المرجع نفسه، ص 372.

الين كانوا قد انغمسوا في الترف.و"لاح إذ ذاك أن زمن الثقافة الرفيعة والبحث الحر قد انقضى ولن يعود فلم يكن يجرؤ على الظهور في الناس إلا أهل الحديث المتشددون أما الفلاسفة فقد كانوا عرضة للاضطهاد أو القتل، إذا هم جاهروا بآرائهم"[1]، فنجد أبا بكر بن ابراهيم صهر علي الأمير المرابط وكان حاكما لسرقسطة مدة من الزمان، يتخذ ابن باجة جليسا له ووزيرا، مما أوغر صدور العساكر والفقهاء، وكان ابن باجة حاذقا للعلوم الرياضية ولا سيما الفلك والموسيقى والطب أيضا نظرا وعملا وقد اشتغل بالمنطق والفلسفة الطبيعية وما بعد الطبيعة ولكن المتعصبين كانوا ينسبون ابن باجة الى الرذائل وضعف الإيمان،" لم تكن حياة ابن باجة رغم قصرها حياة سعيدة فكثيرا ما تمنى الموت ليجد فيه الراحة الأخيرة ولعل ما أثقل قلبه إلى جانب الفاقة أنه كان في وحشة ووحدة عقلية وما خلص إلينا من كتبه يدل على أنه لم يكن يأنس إلى عصره ولا إلى بيئته"[2].

وقد تأثر كثيرا بالفارابي وأفلاطون ورسائله المبتكرة قليلة ومعظمها شروح قصيرة لكتب أرسطو من مصنفات الفلاسفة و"ملاحظاته شتات من سوانح لا رباط بينها فهو يبدأ الكلام عن شيء ثم يستطرد إلى كلام جديد.[3] ويعد ابن باجة أول من أشاع العلوم الفلسفية في الأندلس بلا نزاع،وقد اعترف بفضله ابن الطفيل الذي لم يعرفه بالذات إنما خلفه بعد بضع سنين وذكر ابن الطفيل ما كان عليه ابن باجة من توقد الذكاء وسعة الفكر.

وإنه فاق أهل عصره وأسف عليه لأن مشاغل الحياة الدنيا ووفاته قبل الأوان عاقتاه عن فتح كنوز علمه لأن أهم ما خلفه من الكتب غير تام ولم ينجز سوى أبحاث مكتوبة على عجل"[4]. وكذلك ابن رشد الذي ذكر بأن تدبير المتوحد هو أهم وأنفع كتبه لأن فيه اختط خطة لتدبير المتوحد

1- دي بور ت.ج، مرجع سابق، ص 374.

2- المرجع نفسه،، ص 375.

3- المرجع نفسه، ص 375.

4- جمعة محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام، دار العلم، القاهرة، (د.ط). (د.س). ص 80.

في هذه الأمة ولكنه لم ينجزها، "ويعد أول من سار في هذا المضمار ولم يسبقه فيه أحد"[(1)].

2- فلسفته

كما ذكرنا آنفا، كان الفلاسفة والمفكرون يلاقون أنواعا من الاضطهاد في العالم الإسلاميبجزئيه الشرقي والغربي وفي ظل هذه الظروف الحالكة جاء ابن باجة الذي كان حاذقا ماهرافي الفلسفة والمنطق وعلوم الفلك والطب والنبات"."فعندما كتبت السيادة لفكر الغزالي وموقفه المعادي للفلسفة كان ابن باجة شابا في سرقسطة ينشد المعرفة حيث وجدها ينهل من مواردها بقدر ما تتيح له الظروف.

كان على هذا الفيلسوف الشاب أن يقف بشجاعة مدافعا عن فلسفته ومثله أمام العداء ومحاولات التشكيك السائدين في عصره ضد الفلسفة"[(2)]."كان مذهبه الفلسفي يعبر عن التراجع المأساوي والهزيمة الحتمية للبحث الفلسفي النظري وللفلسفة امام واقع متدهور، وقد كانت فلسفة أبي بكر محاولة للتوفيق بين الفلسفة والواقع أي بين الطبيعة وما وراء الطبيعة، وهي تمثل بالإضافة إلى ذلك تأمل الفيلسوف وقلقه بسببعدم قدرته على العيش بصورة طبيعية سليمة في مجتمع فاسد"[(3)].

وكتاب تدبير المتوحد هو عمل ابن باجة الذي يصور حياته الخاصة وتأملاته الداخلية عن نفسه في ذاته الداخلية وأعماق إدراكه، فهذا العمل يبين رد فعل شخصي لحياة مضطربة في زمن مضطرب، ويظهر وجهة نظره الأصلية حول الدور الخاص للفيلسوف في ظروف غير مواتية .

وقد ساهمت أفكار ابن باجة وقناعاته الشخصية في تحديد مسيرة حياته الاجتماعية وفي تحديد إطار علاقاته مع غيره من الأفراد ومع المجتمع ككل.نرى أن ابن باجة يسير في شروحه وتعليقاته وفق منهجية أرسطو

---

[1]- جمعة محمد لطفي، مرجع سابق ، ص 81.

[2]-زيادة معن، الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1985، ص 20.

[3]- المرجع نفسه، ص 20.

ولكن بروح أفلاطونية باحثا باستمرار عن الحقيقة أو جواهر الموجودات وتتمثل أصالة فكر فيلسوفنا في الجمع بين تعاليم أرسطو العقلانية مع روح أفلاطون التأملية وكذا تأثره بالفارابي.

ثانيا :التوحد والاغتراب

1- تدبير المتوحد والمدينة الكاملة

إن من أهم مؤلفات ابن باجة ورسائله الفلسفية بصورة عامة هو تدبير المتوحد وقد جمع في هذا الكتاب أراؤه الفلسفية ولكنه لم يوفق في إتمامه وما كتبه عسير الفهم لأن لغة الكتاب غير سهلة وغير واضحة " وقد أطلع على ما كتبه فلاسفة اليونان وفلاسفة العرب في السياسات المدينة فاستهوته كتابات أفلاطون واستمالته أراء أرسطو وفتن بمدينة الفارابي الذي توخى فيها المثالية والسعادة تلك السعادة التي كان يفتقر إليها ابن باجة في مجتمعه ذلك المجتمع الذي كان يعد خليطا مختلطا في سائر الثقافات والآراء والسياسات مما جعله ينشد السعادة الحقة ويأمل في ذلك المجتمع الذي يحقق السعادة والرفاهية للجميع"[1].

ونرى بأنه شديد الاقتراب من الفارابي فجعل غايته فلسفته السياسية والأخلاق العقلية ولقد رسم لنا ابن باجة من خلال مؤلفه "تدبير المتوحد" تخطيط لما ينبغي أن يكون الانسان الكامل الذي يسميه ابن باجة المتوحد من ناحية ولما تتألف منه وتقوم عليه الحياة الراضية في المدينة الفاضلة من ناحية أخرى.

ولقد أراد ابن باجة أن يقيم مدينته وفقا للمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته وآراؤه في السعادة، والأخلاق والكون وخالقه.

<u>معنى التدبير والتوحد</u>: يستهل ابن باجة مؤلفه تدبير المتوحد "يبحث معنى كل من لفظتي التدبيرو التوحد "إن لفظ التدبير يعني في أكبر معانيه مجموعة من الأعمال ترمي إلى مقصد معلوم فلا يمكن أن يستدل بها على

---

[1]-عفيفي زينب، ابن باجة وأراءه الفلسفية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2000، ص 331.

عمل مفرد وإنما على مجموعة أعمال تنجز على وتيرة واحدة بناءا على خطة مرسومة للوصول إلى غرض معلوم كالتدبير السياسي والتدبير الحربي"[1].

و"التدبير قد يكون بالقوة وقد يكون بالفعل، ولفظة التدبير دلالتها على ما بالقوة أكثر وأشهر وبين أن الترتيب إذا كان في أمور بالقوة فإنما يكون ذلك بالفكرة فإن هذا مختص بالفكر ولا يمكن أن يوجد إلا للإنسان فقط وما يقال عليه المدبر فإنما هو للتشبيه به"[2]. كما أنهم يطلقون على الاله أنه مدبر العالم وهذا التدبير المطلق وهو أشرف التدابير وهناك تدبير المدن وتدبير المنزل.

أما بالنسبة للفظة المتوحد فلم يتطرق ابن باجة إلى شرحها كما شرح من قبل لفظة التدبير ولكن من خلال قراءتنا لرسائله: "تدبير المتوحد"، رسالة الاتصال"، "رسالة الوداع" نستطيع أن نتبين ما يعنيه ابن باجة بهذه اللفظة فالمتوحد هو الانسان المفرد الذي يحيا سواء في نفسه أو مع غيره حياة مفردة يحصل فيها على سعادة مفردة أيضا وهي قد تطلق على الجماعة أو المدينة المؤلفة من أفراد مفردين يحيا كل منهم في نفسه ويحيا كلهم فيما بينهم حياة يدبرها الفكر وتوجهها الروية فكأنهم فيما يخضعون له من فكر وروية وفيما يأخذون بأنفسهم من تدبير في أفعالهم النفسية والخلقية والاجتماعية إنما يعيشون كأنهم غرباء عمن ليس منهم ولا شبيه بهم ويعني ابن باجة بلفظة المتوحد من ناحية أخرى الوجهة العقلية والتي يفهم منها أن المتوحد يطلق على البالغ مرتبة الاتصال.

وبهذا فالمتوحد عنده لا يعني الفرد كفرد وإنما يعني الفرد والكثرة والجماعة في توحيد القوى والأعمال الانسانية الموجهة نحو كمال تكون وراءه السعادة المنشودة حيث ينال رضى الله ورضوانه"،[3] فالمتوحد هو المقر بوحدانية الله المنتفع بحسنات الحياة البعيد عن كل مفاسدها الساعي إلى السعادة الأبدية من وراء كل عمل يقوم به وإذا سار أفراد

[1]- عفيفي زينب، مرجع سابق، ص 334.

[2]-ابن باجة، تدبير المتوحد،المطابع الموحدة بمجموعة سراس للنشر، تونس،(د،ط)، 1994، ص5.

[3]-عفيفي زينب، المرجع السابق، ص 335.

مجتمع على هذه الطريقة كانوا متوحدين وإذا استطاعوا أن يستميلوا أبناء بيئتهم الى ممارسة الفضيلة وحب الخير وتحصيل العلوم والفلسفة أنشأوا مجتمعنا فاضلا على رأسه فيلسوف أو متوحد إذ أنه كان يعتبر أن حكم الفيلسوف أحسن أنواع الحكم"[1].

2- المدينة الكاملة

تفترض الحياة الأخلاقية بالضرورة وجود المجتمع وإذا كان ابن باجة قد اهتم بالسياسة فإن السبب في ذلك أنه يريد تحديد الإطار الاجتماعي الكفيل بتحقيق الحياة الفاضلة والسعادة الكاملة لأفراد المجتمع ،"فالمتوحد مضطر إلى مراعاة الظروف المدنية التي تحبط به فهو يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه فالاجتماع عند ابن باجة ليس غاية في حد ذاته وإنما هو وسيلة لغاية أخرى هي الكمال الذي تكون به السعادة القصوى في الحياة الاخرة"[2].

فالأولى في نظر ابن باجة وحدة اجتماعية بل هي أكبر وحدة اجتماعية وهو يعبر عنها بالمدينة على نحو ما نجده عند الفارابي والمدينة هي الصورة المثلى للمجتمع الانساني ونجد المدن تتعددو تختلف في نوعيتها من حيث كونها فاضلة أو فاسدة ويعبر عن سياسة الدولة أو المدينة بمهمة "تدبير المدينة" أما التدبير الفاضل فهو التدبير الكامل الذي يشمل مدن العالم أي على المستوى الانساني "ذلك لأن ابن باجة يؤمن بأن ناموس العالم وقوانينه ونظمه إنما هو نظام كامل محكم متقن لا خلل فيه وهو تدبير صواب" وأشرف الأمور التي يقال عليها التدبير هو تدبير المدن وتدبير المنزل ويقول "...فيقولون في تدبير العالم أنه تدبير محكم متقن وما جانس هذه الألفاظ فإن هذه الألفاظ تتضمن وجود الصواب"[3].

1- عفيفي زينب، مرجع سابق، ص 336.
2- المرجع نفسه، ص 336.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لقد بدأ ابن باجة بالفرد لان الفرد عنده أساس المجتمع وإذا كان الفرد فاضلا فمجموع الأفراد سيؤدي حتما إلى تكوين المدينة الفاضلة وقد جعل المدينة تبدو في صورة مثالية حتى تتوافق مع مثالية الأفراد المتوحدين ووضع عدة شروط لابد من توافرها في تلك المدينة لكي يستطيع كل فرد أن يؤدي دوره ويحقق سعادته "فالمدينة التي أرادها ابن باجة ليست مدينة سماوية كالتي أرادها القديس أوغسطين وإخوان الصفا وإنما هي مدينة أرضية يعيش أهلها تبعا للنواميس التي وضعها العقل المطلق، فالمتوحدون يعيشون في هذه المدينة كأنهم غرباء عمن ليس لهم ولا شبيها بهم من أفراد الجماعة أو من أهل المدينة ومع ذلك فإنهم يخالطون غيرهم عمن يختلفون عنهم ويعاشروهم ولكن يتميزون بتوحدهم من دونهم ولكن بدون الانقطاع عنهم ولا اعتزال لهم"[1].

ومن مميزات المدينة الكاملة بأن لا يكون فيها طبيب ولا قاض وذلك أن المحبة بينهم أجمع فلا تشاكس بينهم أصلا كما أن أفعال المدينة الفاضلة كلها صواب"[2].وكذا أراءها صادقة بمعنى أنه لا يكون في هذه المدينة أراء كاذبة أبدا إذ لا تنتشر فيها الآراء الغريبة الطارئة التي ربما تأتي من مدن أخرى ناقصة إذ أن المدينة الكاملة لا تتألف إلا من الحكماء وهؤلاء الحكماء هم الذين يعملون الصواب بإطلاق بعد الوقوف على كمال الانسان اما الانسان بالطبع فهو الذي يعرف الرأي الصواب بالإضافة كما أن من مميزات هذه المدينة أن لا يكون فيها نوابت" إذا قيل هذا الاسم بخصوص لأنه لا أراء كاذبة فيها ولا بعموم: فإنه متى كان فقد مرضت وانتقضت أمورها وصارت غير كاملة"[3].

وقد أشار الفارابي إلى هؤلاء النوابت فقال إن "النوابت في المدن منزلتهم فيها منزلة الشيلم في الحنطة أو الشوك النابت فيها بين الزرع، أو سائر الحشائش غير النافعة والضارة بالزرع أو الفرس" بعكش ابن باجة

1- عفيفي زينب، مرجع سابق، ص 336..

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص 10.

الذي يعني "بالنوابت كل من انفرد أو خرج على الجمهور أو رأى رأيا صادقا لأن المدن الفاضلة ليس فيها آراء كاذبة وإن كانوا هم على حدوث المدن الكاملة".[1]

كما أنها تتميز بتنظيم العمل وتقسيم الأدوار فالإنسان يقصد بأعماله نفع المدينة إذ أن الإنسان الفاضل هو جزء المدينة الفاضلة: كما أن المتوحدون يكتبون كل ثورة في نفوسهم على الشرائع وينصاعون بالاختيار والإرادة لناموس الحياة الشامل ليبلغوا في نهاية المطاف، بالحياة العقلية أما بالنسبة للمدة الناقصة فيذهب ابن باجة في تعدد المدن غير الكاملة مذهب الفارابي، "ولكنه نختلف عنه في أنه يجعلها أربعة بسيطة فيذكر مدينة الكرامة والمدينة الجماعية ومدينة التغلب أما اسم المدينة الرابعة فيبدو أنه سقط من المخطوطة".[2]

فمدينة الكرامة هي التي قصد أهلها التعاون على أن يصبروا مكرمين ذوي عظمة وذكر وشهرة وذلك بالقول والفعل، أما مدينة التغلب فهي التي قصد أهلها التغلب على غيرهم وجعلوا سعادتهم في تلك الغلبة، واما المدينة الجماعية فهي التي قصد أهلها أن يعيشوا في فوضى فيتبعوا أهواءهم ويتصرفوا كيف شاءوا وأهلها متساوون... لا يكون لأحد منهم على أحد منهم سلطان".[3]

في هذه المدن يفتقر دائما إلى طبيب وقاض وكلما بعدت المدينة عن الكاملة كان الافتقار فيها إلى هذين أكثر، وكان فيها رتبة هذين الصنفين من الناس أشرف، فأكثر أهلها يسعون وراء ملذاتهم وشهواتهم وما يرضي حوائجهم البدنية والنفسية فتكثر أمراضهم حيث لا يعرض لها داء ولا دواء ويقع التشاكس بين أفرادها مما يحتاج معه إلى وضع العدل ومن يقوم به وهو القاضي.

1- عفيفي زينب، مرجع سابق، ص 352.
2- المرجع نفسه، ص 342.
3- المرجع نفسه، ص 342.

وكما ذكرنا بأن أفعال المدينة الكاملة تتصف بالفضيلة والصدق، فالمدن الناقصة يغلب عليها الخروج عن هذا السنن فإذا اتفق لأحد أبنائها أن يهتدي إلى صواب رأي أو عمل كان ذلك بالعرض وكان المهتدي إليه من النوابت أو كان يرى رأيا مخالفا لأبناء تلك المدينة فهو ايضا من النوابت.

"فأما من وقع على رأي صادق لم يكن في تلك المدينة أو كان فيها نقيضه هو المعتقد فإنهم يسمون النوابت وكلما كانت معتقداتهم أكثر وأعظم موقعا، كان هذا الاسم أوقع عليهم، وهذا الاسم يقال عليهم خصوصا وقد يقال بعموم على من هو يرى غير رأي أهل المدينة كيف كان صادقا أو كاذبا ونقل إليهم هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع".[1]

ويجعل ابن باجة وجود النوابت في المدن الأربع غير الكاملة هو علة حدوث المدينة الكاملة ما داموا هم الذين يهتدون في مدينة على ما يلحق بالمدينة من فساد على مر السنين ويصلحونه وهم يؤلفون مع الحكام والأطباء الطبقات الثلاث التي تتألف منها السير الأربع، "وكأن السعداء إن أمكن وجودهم في هذه المدن فإنما يكون لهم سعادة المفرد وصواب التدبير إنما يكون تدبير المفرد، وسواء كان المفرد واحد أو أكثر من واحد ما لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم قدسا فروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان إلى سائر ما يقولونه".[2]

ويرى ابن باجة أن معظم أفعال الإنسان في السير الأربع إنما هو مركب مما هو بهيمي وإنساني وقلما يوجد البهيمي خاليا من الإنسان، " لأنه لابد للإنسان إذا كان على الحال الطبيعية في أكثر الأمر إلا في النادر وإن كان سبب حركته الانفعال أن يفكر كيف يفعل ذلك، فأما الإنساني فقد يوجد خلوا من البهيمي".[3]

---

[1]- عفيفي زينب، مرجع سابق ، ص 343.

[2]- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص 13.

[3]- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق ، ص 18.

وعلى ذلك يمكن القول بأن مذهبه السياسي قائم على المبادئ التي يقررها العقل ويسترشد بها الإنسان وهو يربط بين الجانب السياسي والأخلاقي "فيجعل تدبير المتوحد على مثال تدبير الحكومة الكاملة وبذلك فهو يرتفع من الجزء إلى الكل، من الفرد إلى المجتمع والهدف المنشود الذي يسعى إليه المتوحد هو البلوغ إلى أعلى درجة ممكنة من الكمال".[1]

3- المتوحد والاغتراب

المتوحد " هو المنفرد بنفسه الذي جعل فرادته هيئة لوجوده، فما يتفرد به هو ما يتوحد لأجله، ولأنه لا يعاني من وحدته هو فيلسوف، إن مهمة وجوده هو تهذيب الوحدة بضرب خاص من الوطن، وذلك هو معنى التوحد، غير أنه يحسن بنا ألا نظن بالتوحد أنه مجرد حنين إلى الوطن أو إلى وطن لا وجود له، فالتوحد صفة حنينية قد تصيب المفارق للجماعة، كذلك هو ليس فشلا يائسا في البقاء في عصمة الجماعة".[2]، "فالتوحد هو مطاوعة الوحدة ومجانبتها والصيرورة إليها ومعاودتها وطلبها واتخاذها اسما والانتساب إليها، إن المتوحد ليس الوحيد".[3]

إن المتوحد هو غريب الرأي وتوحده هو تدرب عسير على الإقامة على حدود وطن عقلي هو مطالب سلفا يرسمه لنفسه في كل مرة. فالمتوحد هو النابتة أي الفرد المنعزل الذي يعيش في نفسه أو مع غيره، كما أن لفظ المتوحد يطلق على مجموعة أفراد دفعة واحدة، إذ طالما أن الجماعة لم تأخذ بعادات هؤلاء المتوحدون ولم تتبع تقاليدهم فإن هؤلاء كما يسميهم ابن باجة نقلا عن الفارابي والمتصوفين يظلون رجالا غرباء وسط عائلاتهم ومجتمعهم ذلك لأنهم مواطنوا الحكومة الكاملة الذين تدفهم جرأتهم العقلية إلى استباق حدوثها.

1- عفيفي زينب، مرجع السابق، ص 343.

2- المسكيني فتحي، فلسفة النوابت، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 90.

3- المرجع نفسه ، ص ص 84-85.

إن موضع المتوحد لا هو المدينة ولا هو المنزل ولذلك فالنظر في أمر المتوحد لا هو انخراط في الفلسفة المدنية التي وضعها أفلاطون تقليدا لكل تفكير بماهية المدينة وبطبيعة منزلة الفيلسوف داخلها ولا هو استئناف لإشكالية كان البلاغيون قد أعطوا عنها صيغة أولية،"إن انطلاق ابن باجة من إزاحة إشكالية المدينة الفاضلة ومحاولة التلفت رأسا إلى الموضع الذي يصيبه الفيلسوف في المدن الغير فاضلة، هو الأفق الذي تتكون داخله مسألة المتوحد هو ساكن المدن غير الفاضلة، وهذا ضرب من السكن الاضطراري في مدن لا فاضلة هو الذي يدفع إلى التفلسف إذن صفة سعيدة لأهل المدينة الفاضلة بل هو الضرب من التدبير الذي يمتهنه رهط من الناس يجدون من أنفسهم غربة في الرأي معها دفع حيلة التوجه وهم النوابت"[1]. وهم عكس ما يعنيهم الفارابي الذين يضرون المجتمع ومثلهم مثل الشوك النابت بين الزرع أما ابن باجة فيجعل من النابتة أو النوابت رتبة الذين يرون الآراء الصادقة في المدينة الفاسدة الجاهلة ولكنه من الواضح خلال هذا العرض البسيط أن منزلة النوابت في المدينة سواء بمنظور الفارابي أو وجهة ابن باجة فقد أخذا مأخذ الجاحظ حيث أشار إلى الفرقة المتمردة على القيم والمبادئ بغض النظر إذا كانت هذه القيم فاسدة أم فاضلة .وبذلك إذن فهل المتوحد هو النابتة وهو الغريب؟، وهل يعني به ابن باجة الفيلسوف؟،" يبدو وأن كمال المدينة الفاضلة يجعلها في غير حاجة إلى الفلسفة وإلى فلاسفة ولكن كيف نفهم قول ابن باجة: "النوابت إن وجودهم هو سبب حدوث المدينة الكاملة ؟".[2]،" قد يعني ذلك فقط أن الموضع الذي يقف فيه الفيلسوف هو الذي يحدد طبيعة الحاجة إلى الفلسفة وقد يعني أيضا أن دور الفيلسوف مؤقت مثل موضعه، إن الفيلسوف إنما يضطر للظهور داخل عصر لا نختاره، فهو موجود اضطرارا في هذا الزمان أو ذلك بيد أن هذا الاضطرار إلى الزمان الذي يظهر فيه إنما

1- المسكيني فتحي، مرجع سابق ، ص 93.

2- المرجع نفسه، ص 94.

يحجب حرية جذرية هي خاصة للفيلسوف[1]"جذرية بالمعنى الذي نحمله على النبتة الغريبة التي تبزغ في تربة لا تحتملها في عرف أهلها فالنابتة هو "العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع، والنابتة متوحدا أولا وأخيرا، أولا لأنه يولد من تلقاء وحدته، فهو لقيط في مدن اللافلسفة، إنه الغير ممكن الذي بظهوره يكسر كسل الروح في أمة ما، وأخيرا لأنه مطالب بأن يصنع بنفسه إمكانية العالم الذي يخصه، هذا العالم الذي هو هيئة المتوحد إذ كان ساكنه الوحيد، إنما هو في الوقت نفسه الصيغة البدائية عن العالم الكامل الذي تشير إليه فكرة المدينة الفاضلة"، فالنابتة ليس سبب نفسه الوحيدة فحسب بل هو بخاصة سبب حدوث المدينة الكاملة، وليس كما اعتقد الفارابي بأن النوابت هو من يحطم المدينة الفاضلة، فما قصد إليه ابن باجة هو أن يستشعر فلسفيا اللحظة الوعرة التي تسبق حدوث المدينة الكاملة التي يبدو أن ابن باجة يائسا من حصولها لكن يبقى أملا طالما النوابت موجودين بشكل تلقائي.

فالتوحد هو حب الحكمة من حيث إن هذه الحكمة هي التدرب على الإتيان إلى الفلسفة من غير المرور بإشكالية المدينة الفاضلة، إنما الفلسفة إذن صناعة الانفراد وفن الوحدة، وهي ليست كذلك إلا لأن واقعة الفيلسوف نفسها هي نابتة، "فالتوحد موقف ميتافيزيقي ناتج عن حال انطولوجي هو وضع النابتة، وكما أن انفراد المريض صحة، كذلك توحد الفيلسوف: إنه سعادة، إنه اعتزال للجماعة من جهة اعتبارها آلة اللافلسفة ومدينة بلا وطن أو عاجزة عن الوطن".[2]

إذن الفيلسوف هو نابتة غريبة عن الزمان متفردة عن المكان، فالنوابت غرباء، عن المدينة وإن كانوا يعيشون فيها، وهم غرباء وسط الأهل والأقارب والجيران، تأكيدا على مشروعهم الناشد إحداث تجديد في أوضاع المدينة، إنهم بتفكيرهم يتقاطعون مع كل تفكير سائد، وأنظمة

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- المسكيني فتحي، مرجع سابق ، ص 98.

سياسية واجتماعية وأخلاقية مهيمنة، فالنوابت سعداء المدينة ومستقبلا المدينة تسعد بهم.

يقول ابن باجة: "وكأن السعداء إن أمكن وجودهم في هذه المدن فإنما يكون لهم سعادة المفرد وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم قد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان، ونحن في هذا القول نقصد تدبير هذا الإنسان المتوحد".[1]، "فمطلب الغربة لدى الصوفية ليس العود إلى الذات المفقودة بل مطلبها السعادة وبعبارة أكثر إثارة: سعادة المفرد، بل وعلى نحو أكثر حسما: إن معنى الغربة لديهم يضاهي الوطن، إنه ضرب من أدب العزلة".[2]

وإنه داخل هذا الأفق الصوفي اكتشف ابن باجة السبل الفلسفية الحاسمة لبلورة معنى التوحد، إن التوحد هو إذن الغربة، لكن الغربة لا تعني هنا أي ضرب من اللاوطن، لأن الغريب لا يعاني من أي ضرب من القلق إزاء إمكانية الموت، إنه على العكس من ذلك في سفر سعيد إلى أفق الموت، إن الموت هنا يتخلص من شحنته العدمية وينقلب إلى حدث دهري، إنه ضرب من الدخول في أفق الوطن، إن التوحد غربة في الرأي وليس فقدانا للذات، "إن التوحد سفر بالفكر إلى مرتبة الوطن من غير معاناة لواقع القلق واللاوطن والموت".[3]

الحقيقة أن العزلة التي نادى بها ابن باجة ليست غربة صوفية أو انقطاع عن الناس، وإنما يظل الإنسان متصلا بالجميع، غاية الأمر أن يكون دائما أمير نفسه وسيد شهواته، وأن لا ينسحب في تيار رذائل الهيئة الاجتماعية.

1- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص 13.

2- المسكيني فتحي، مرجع سابق، ص 86.

3- المرجع نفسه، ص 87.

4- مشاعر الاغتراب في تدبير المتوحد

يقول جميل صليبا: وكل من قرأ كتاب " تدبير المتوحد" وجد في أضعافه أثرا من آراء الفارابي في المدينة الفاضلة، إلا ان الأمر الذي يتميز به ابن باجة هو أن مفهوم الدولة الفاضلة لم يكن عنده مفهوما قبليا ولا محاولة لقلب نظام الحكم، بل كان وسيلة لإصلاح العادات والأخلاق، تهدف قبل كل شيء إلى تحقيق الوجود الإنساني على أكمل صورة في كل فرد"،[1] فالمتوحدون في نظر ابن باجة مواطنون في الدولة المثالية إن كانوا غرباء في المجتمع الحقيقي، إلا أن جرأتهم الروحية تدفعهم إلى مجاوزة شروط الواقع وإلى سلوك منهج عقلي يهيئون به أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

ونرى أن رسالة القوة النزوعية من الرسائل التي نشرها دكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه: "رسائل فلسفية" وهذه الرسالة لها علاقة بالحديث عن الغربة واغتراب الإنسان ونزوعه إلى الكمال، فواضح من عنوانها أنها تبحث في الإنسان وصلته بالكمال الإنساني، ففي هذه الرسالة إطلاع على مشاعر الغربة وكيف اتخذت سبيلها إليه واتخذ هو سبيله إليها ففيها تعبير عما كان يعانيه من يأس وما كان يراه في واقع مجتمعه من معايير أخلاقية مختلفة أحيانا ومتباينة أحيانا أخرى، لذلك حين تقرأ له تحس كأنك تعيش مشكلة حقيقية أجاد وصفها فيلسوف خبر الفلسفة ومفكر اشتغل معاناة قومه أو معاناة ذلك المجتمع الذي اضطربت معاييره في الحكم على الأشياء ومعايير الالتزام الأخلاقي.

و لاشك أنه عندما يقول في رسالته: ولذلك متى اشتهى الانسان شيئا أو كرهه ثم علم وجه ما ان ذلك الشيء خير، ترك ذلك الانسان ما اشتهى وطلب ما كره عن حركة إرادية وصادر عن فكر وروية وتلك من أهم

---

[1]- الفيومي محمد ابراهيم، ابن باجة وفلسفة الإغتراب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988، ص 96.

صفات المتوحد"[1]. كما قال ابن باجة في تدبير المتوحد:" وكل فعل إنساني فهو فعل باختيار، وأعني بالاختيار الإرادة الكائنة عن روية".[2]

ثم عقب على ذلك بأسلوب أدبي يعبر عن إحساس بالمرارة وعن مشاعر مفعمة بخيبة الأمل في إصلاح المجتمع ويأس الهارب إلى ذاته يقول: "فإن لم يفعل ذلك الخير كان ذلك من فعله سفها وتعبا وضلالا وما شاكل هذه الأصناف" ثم يزيدها من سخطه بقوله:" إذ ليس لهذا الصنف اسم سوى أنه فعل حيواني لا إنساني".[3]

من هذه الروح الناقمة على عصره وعلى إنسان عصره أخذ يبث تصوراته المثلى لشخصية المتوحد وربما كان لتصوراته أثرها على دولة الموحدين. وحصلت على اسم التوحد التي جاءت به بعد دولة المرابطين التي عاش في كنفها، "لذلك لم تكن تخيلاته ترفا فلسفيا لشخص عاش في برج عاجي فاندفع يحبب إلى خلوته، ولم تكن كذلك تقليد لفكرة فلسفية نسج على منوالها لتحقيق رغبة فلسفية، إنما كانت فكرا فلسفيا لبى حاجة فيلسوف حملته مشاكل عصره لأن يقدم ورقة إصلاحه للإنسان ومشاكله".[4]

ويصف ابن باجة المتوحد بأنه اجتماعي في الظاهر يلبس ما يلبس الناس ويتناول ما يأكلون وينفرد عنهم بالسر أي منعزل عنهم، منفر عن مجتمعه بعزلته الداخلية من حيث فكره بأنه متوحد ومنفرد بما يعانيه من آلام غربته عن مجتمعه وذلك ليس بهدف الهروب، إنما بهدف التوحد مع ذاته وفكره دون أن يعتزل الهيئة الاجتماعية التي يعايشها.

ومن هنا فالنابتة المتوحد هو غريب الرأي والأفكار والمفاهيم، وبهذا فهو يعيش في غربة عن طبيعة أفكارهم ومفاهيمهم وهي تختلف تماما عن الأفكار السائدة، فهو في داخله ينشد صورة المجتمع العادل الذي تتألف

1- المرجع السابق ، ص 101.

2- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص 16.

3- الفيومي محمد ابراهيم، مرجع سابق، ص 101.

4- المرجع السابق ، ص 102.

فيه القيم الإنسانية العليا، وحين يفتقدها في حياة مجتمعه وقد أنهكته الصراعات الطائفية والقبلية والتحالف مع الأعداء ضد بني العمومة فيلجأ بالتالي إلى الاغتراب ملجأه الوحيد لينسجم مع فكره وشعوره مدبرا أمر نفسه، متوحد معها، وشاء الله لابن باجة أن يضع ملامح صورة المغترب في كتابه " تدبير المتوحد" فأراد أن يبين فيه انحطاط الواقع الاجتماعي والأخلاقي عن قيم الإسلام والإنسانية مظهرا فيه مدى تفسخ العقائد الدينية على يد هؤلاء الساسة الذين لم يرتفع مستواهم إلى مستوى المبادئ الإسلامية التي يحملون لواءها ويبشرون بها، فمن خلال معايشة ابن باجة أحداث هذه الأزمات وشعوره بوطأتها، صارت غايته الوحيدة أن يجد تصورا يأخذ بيد الإنسان من خلال ثقافته لينهض بالمجتمع فيكون له من الشمول والقوة والانسجام.

ولاشك أن هذه النزعة الذاتية، أي الإحساس بالذات ما كان لها أن تطفوا على السطح ما لم يكن الإحساس بالذات قويا في بيئة من شأنها أن يستسلم فيها الفرد استسلاما كاملا للظروف الاجتماعية، " فلذلك يكون المتوحد واجبا عليه في بعض السير أن يعتزل عن الناس جملة ما أمكنه ولا يلابسهم إلا في الأمور الضرورية أو بقدر الضرورة، أو يهاجر إلى السير التي فيها العلوم إن كانت موجودا وليس هذا مناقضا لما قيل في العلم المدني، ولما تبين في العلم الطبيعي، فقد تبين هناك أن الإنسان مدني بالطبع، وتبين في العلم المدني أن الاعتزال شر كله، لكن هذا إنما هو بالذات، وأما بالعرض فخير، كما يعرض في كثير مما في الطبع".[1]

كما أن ابن باجة يطالب الإنسان بأن يتولى تعليم نفسه بنفسه، وعلى الإنسان بوجه عام أن ينتفع بمحاسن الحياة الاجتماعية دون أن يأخذ مساوئها في ذلك.

ويمكن للحكماء أن يؤلفوا من أنفسهم جماعات صغيرة أو كبيرة بل هذا واجب عليهم متى لقي بعضهم بعضا فهم يكونون دولة داخل دولة

[1]- الفيومي محمد ابراهيم، مرجع سابق ، ص 109.

ويحاولون أن يعيشوا على الفطرة بحيث لا يتحتم وجود طبيب ولا قاضي بينهم وهم يترعرعون كما يترعرع النبات في الهواء الطلق من غير حاجة إلى عناية البستاني.[1]

وكذلك هو كالغرباء وسط الشواغل الدنيوية في المجتمع ولما كانوا أصدقاء فيما بينهم فإن المحبة هي التي تقرر نظام حياتهم كلها ولما كانوا أحباب لله وهو الحق، فإنهم يجدون راحة نفوسهم في الاتحاد بالعقل الأعلى الذي يفيض المعرفة على الانسان"[2].

وإذا كانت الفلسفة تنبثق من الشك في طبيعة العالم الموضوعي ولا سيما إذا كان محاطا بالأوهام فإن غاية التفلسف تصبح هنا رفض معايشته إذ لا مجال فيه للقيم الدينية والإنسانية، وما دام الإنسان لا يستطيع أن يبقى رافضا لكل شيء،رافضا لوعيه الذاتي، ورافضا معايشة فساد المجتمع فعليه إما أن يرفض وجدانيا معايشة فساد مجتمعه ويعايش مبادئ الأخلاق والدين مع ذاته، وإما أن يرفض وجدانيا وعيه الذاتي بفساد مجتمعه ثم عليه في هذه الحالة أن يروض ذاته لينخرط مع المجتمع، أما الرفض المطلب فهو دائرة مغلقة تعني الموت.

وبهذا يبقى عامل الإحساس بالغربة عاملا مهما ينبه الإنسان إلى عدم التوازن بين الإنسان وبين نفسه وبين مجتمعه "وتدور فلسفة ابن باجة حول الغاية التي وجد الإنسان من أجلها وهو الاتجاه إلى الله تعالى والاتصال به وإبراز قيمة الإنسان، فهو فيلسوف يحيا حياة عقلية محضة، يعني بشؤون نفسه وشؤون مدينته بروية وفكر، غرباء عن مجتمعهم الحقيقي الذي يحكمه أشخاص هم أقل الناس جدارة، لا يكاد المرء ينظر إليهم إلا ويشعر بقلق يفترسه من عدم التناسب في العلاقات والسيطرة والاستبدادية التي تحكمهم ويحكمون بها أحكام الجهل والأهواء".[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 111.

[2]- الفيومي محمد ابراهيم، مرجع سابق ، ص 110.

[3]- المرجع السابق ، ص ص 112-113.

لقد تعالى الحكام على الشعب ومارسوا عليه كل ألوان الاستبداد والاستغلال فأصبح الفرد يتقوقع داخل ذاته محاولا الحفاظ على مصلحته الخاصة دون أدنى اهتمام بمصالح الآخرين وبدلا من أن يضحي بنفسه في سبيل الدولة يصبح يخاف نفسه من الدولة ذاتها.

لقد حولت النزعة الاستبدادية التي استثبتت بالأندلس، الإنسان إلى مجرد شيء لم يعد يشعر بوحدته مع الله، وتحول الى مجرد موضوع للإرادة القاهرة لدولة غريبة عنه، وبالتالي هذا ما جعل ابن باجة يحس بقلق زمانه، فأخذ يركز على المبادئ التي في النهاية توحد السلوك نحو السعادة البشرية وهي القوانين التي أودعها الله في الطبيعة ويستطيع الوصول إليها بتدبيره الصادق وهي:

- الدين الذي يرد الإنسان إلى قواعد الإيمان والعلاقة بالله.
- الأخلاق التي ترده إلى نفسه حين يسيء إلى معرفتها.
- السياسة التي ترده إلى المجتمع وواجباته نحوه.

بالتالي يبقى الاغتراب خلاصا وطريقا للمتوحد المنفرد في مجتمعه غاية في بلوغ كماله العقلي أو السعادة ولكن الأشكال المطروح هو: كيف يؤسس المتوحد ذاته؟ وما هي أهم المراحل التي يمر بها؟

كيف يتدرج الإنسان ليصبح متوحدا؟ كل هذه التساؤلات نحاول الإجابة عنها في مطلبنا الآتي؟

5- مراحل التدرج من الإنسان العادي إلى المتوحد

بما أن التدبير هو ترتيب أفعال فيجب بعد بيان التدبير المقصود تحديد أصناف الأفعال التي تصدر عن الإنسان لمعرفة أي منها يمكن أن يكون موضوعا لهذا الفعل التدبيري." فالإنسان بالمنظور الباجوي ثلاثي الأبعاد: جسم وإحساس (حيوان) وعقل (كائن مفكر)، وعليه فالأفعال التي تصدر عنه: إما أن تصدر عن طبيعته الجسمية (الجمادية) كالسقوطإلى أسفل وهي أفعال اضطرارية لا يمكن أن تكون موضوعا للتدبير وإما أن

تكون الأفعال الصادرة عنه راجعة إلى طبيعته الحيوانية، وهي في هذه الحالة أفعال غريزية لا تكون موضوعا للتدبير بالمعنى المقصود هنا".[1]

يبقى أخيرا الافعال التي تنسب إلى الإنسان بوصفه كائنا عاقلا وهي قسمان:

أ. قسم مصدره ما يلقي انفعال، وهذا النوع لا يقبل التدبير لأنه لا يصدر عن إرادة الإنسان واختياره كالإلهامات.

ب. قسم يصدر بالفعل عن إرادة الإنسان واختياره بعد روية وتفكير وهي الأفعال الإنسانية على الحقيقة لأنها تصدر عن العقل االذي يختص به الإنسان، ولما كان العقل قوة من قوى النفس فيجب البحث في الأفعال الصادرة عن هذه القوى لمعرفة أي منها يجب أن تكون موضوعا للتدبير أو الفعل التربوي الممارس على الذات.

الأفعال المبنية على التعقل هي مقصد ابن باجة، وهذا واضح من قوله: " فكل ما يفعله الإنسان باختيار فهو فعل إنساني، وكل فعل إنساني هو فعل باختيار وأعني بالاختيار الإرادة الكائنة عن روية".[2]

فهو يرى أن ملكات المعرفة هي "الذكاء، الخيال، الذاكرة، الحس" أما العقل فهو أعلاها مرتبة وأسماها منزلة، وسواه من ملكات المعرفة يتميز بعضها عن بعض من حيث المستوى والإدراك.

وعليه فالعقل الإنساني يبلغ كماله عن طريق النظر العقلي الخالص الذي هو مصدر كل معرفة ومصدر السعادة العظمى لأن المعقول هو غاية في ذاته والمعرفة العقلية لديه تقوم على أساسين:

الأساس الأول: إن الصور المعقولة عند ابن باجة تقوم على مراتب أدناها الصور الهيولانية وأعلاها العقول المفارقة ويصور لنا نموذج العقل إلى أن يصل إلى المعرفة الكلية الخالصة كالتالي:

1- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص ص 15 - 16.

2- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ، ص 16.

أن العقل يبدأ في مرحلة الصعود بإدراك الصور المتوسطة بين الحس والعقل ثم العقل الإنساني ذاته إلى أن تصير عقلا وهناك يدرك عقول الأفلاك المفارقة ثم الواحد الأول.

ويمكن إجمال هذه النظرية بأن الصورة الجوهرية للإنسان في مذهب ابن باجة صورة عقلية بالفعل تسمى عقلا بالفعل ويستطيع هذا العقل بفضل التأمل أن يفكر في ذاته على النحو الذي تدرك به العقول المفارقة أو الملائكة ذواتها، وهذا النوع من الحدس العقلي هو الذي يسمو بالإنسان عن مرتبة جميع الكائنات المادية ويطلق هذا الفيلسوف على عملية الحدس العقلي اسم الاتصال بالعقل الفعال، وفيها يتحد العاقل مع المعقولات بالفعل، وحينئذ لا يفكر في شيء آخر سوى ذاته، "وقد ذكر أن الإنسان ينتهي بالدرس والتأمل إلى إدراك هذه الصور المثالية التي تقوم بذاتها وتعتبر المعاني وأسمى العقول هو العقل المستفاد وهو متمم للعقل الفعال الذي ينتهي به المرء إلى إدراك نفسه ككائن عقلي.

ومن هنا فإن الإنسان في ترقية من الجزء المحسوس إلى المجرد يدرك كل ما هو فوق طور الإنسان حتى يصل إلى ما هو إلهي والفلسفة ترشده في عملية الصعود إذ معرفة الكلي تحصل من معرفة الجزيئات بمساعدة إشراق العقل الفعال من أعلى.

أما الأساس الثاني: أن العقل يدرك الكليات (كل ما هو إلهي) ومادام العقل يدرك الكلي فليس هناك داع للقول ببقاء العقول الإنسانية الجزئية بعد الموت أما النفس وهي تدرك الجزيئات عن طريق تخيلها على نحو يجمع بين الإحساس والتعقل والتي تتمثل في شهوات وأفعال متنوعة فهي تبقى بعد الموت وتلقى الثواب والعقاب.

لذلك فإن نظرية المعرفة عند ابن باجة هي السبيل إلى الكمال الإنساني ذلك لأن الإنسان يعيش وفق دواعي العقل، فالنظر العقلي المجرد من مراحله هو وحده السبيل لكي يصبح المرء عقلا فعالا فيتحقق كماله بإدراكه الكلي اللامتناهي وهذا الإدراك لا يمكن الوصول إليه بالخيالات

الصوفية، ذلك لأن اللذة الحسية تحجب الحقيقة والسبيل للوصول إلى إدراكه هو التعقل والنظر وصفاء النفس، فكلما كانت النفس مرتفعة عن الشهوات واللذائذ الحسية منصرفة إلى البحث والنظر كانت اقرب إلى الاتصال بالعقل الفعال، "غير أن هذا الأخير لا يبلغ ولا تكتنفه معرفة الإنسان بكليته، وإنما يكون كمال المتوحد بالسعي إليه، وبهذا السعي يضحى المتوحد عقلا مكتسبا وكائنا إلهيا، يلتفت إلى ذاته المنفصلة عن عالم المادة، وتتم له الراحة الكبرى تلك الراحة التي هدف إليها ابن باجة وسائر الفلاسفة في الإسلام".[1]

إلا أن هذه الراحة أو بالأحرى السعادة الكاملة لا تتهيأ لكل الناس ولايدرك المعرفة العقلية الخالصة إلا نفر قليل وهم المتوحدون أو النوابت، فالمتوحد يدرك الحقيقة الكلية عن طريق العقل ويتهيأ له ذلك عن طريق:

1) الأفعال الصادرة عن الروية والتأني.

2) الفعل الحر الإختياري الذي يكون له غاية يعقلها الفاعل وهذا هو الفعل الحق الذي يختلف عن الفعل البهيمي الذي لا غاية له.

3) أن تكون نفسه صافية غير عالقة بالشهوات واللذائذ الحسية وبذلك يكون مهيأ للعروج والوصول إلى العقل الفعال.

4)- " أما المعرفة التي تأتي عن طريق الإلهامات– المعرفة العرفانية– فإنها تكون خارجة عن نطاق القدرة الإنسانية وخارجة أيضا عن الإرادة ولا يستطيع السيطرة عليها، إنما هي نوع من الإشراقات التي تأتي في أوقات خارجة عن نطاق إرادة الإنسان فلا تخضع لعقل ولا لمنطق، ولا يستطيع الإنسان السيطرة عليها وفق حاجته [2] لذلك نرى أن ابن باجة يعتمد بالمعرفة العقلية دون المعرفة العرفانية".

من خلال هذه الجوانب تتوضح لنا شخصية المتوحد ذلك الإنسان السامي الذي يعيش طبقا لدواعي الإرادة العاملة ويحرص على تنمية عقله

[1]-اليازجي كمال أنطوان، عطاس كرم، أعلام الفلسفة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط4، 1990، ص 657.
[2]-ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص 16.

في جو من الحرية وهذا لا يأتي له بالاعتزال العرضي للناس والعكوف على تربية نفسه بنفسه ثم يتصل بأقرانه من الحكماء فيكونون مجتمعا في ظل المجتمع الذي يعيشون فيه، وإذا كان التدبير لا يطلق عند ابن باجة إلا على ترتيب جملة من الأفعال فقد عني بتحليل هذه الأفعال فإذا هو يبين أن منها أفعالا اضطرارية وافعالا غريزية وأفعالا اختيارية، وإن كل ضرب من هذه الأفعال إنما يصدر عن ضرب من الكائنات، فالأفعال الضرورية هي التي تلحق الجماد لأنها تحصل لها اضطرارا والافعال الغريزية هي التي تحصل من الحيوان أما الأفعال الإختيارية تصدر من الإنسان عن اختيار قائم على فكر وروية كما أنها تتميز عن غيرها من الأفعال الجمادية والحيوانية بأن لها غاية، " فالإنسان الذي يكسر حجرا مثلا لأنه عثر به وخدش منه إنما يفعل فعلا بهيميا على حين أن الإنسان الذي يكسر هذا الحجر أو يلقيه جانبا لكي لا يعثر به أو يخدش منه غيره إنما يأتي فعلا إنسانيا".[1]، " ولهذا يقول ابن باجة أن أكثر أفعال الإنسان إنما تتألف من عناصر بعضها حيواني وبعضها الآخر إنساني، وقلما يوجد لدى الإنسان أفعال حيوانية خالصة بل أغلب ما لديه أفعال يغلب عليها أن تكون إنسانية، وهذه الأفعال هي ما ينبغي أن يكون للمتوحد"[2].

إذا كان الفعل الإنساني كله من أجل الرأي والصواب وغير ملتفت إلى النفس البهيمية، فذلك الإنسان أخلق به أن يكون فعله إلهيا من أن يكون إنسانيا.

ما يجب على مثل هذا الإنسان أن يستزيد من الفضائل الأخلاقية حتى يكون مستعد القبول كل ما تقضيه النفس الناطقة لا النفس البهيمية وبعد أن بين ابن باجة أن الأفعال الإنسانية هي وحدها التي ينبغي أن تتعين بها الغايات، وأن الغاية العليا التي ينبغي أن يحققها المتوحد بادئ ذي بدء هي إدراك الأمور الروحانية، فيتحدث حينئذ ابن باجة عن الصور

1- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق ، ص 17.

2- الموسوي موسى، مرجع سابق، ص 190.

الروحانية وأنواعها المختلفة ويذهب إلى أن هذه الصور هي اسى انواع الصور لأنها صور مفارقة للمادة، ولهذا كانت معقولة كما أنها إذا اتصلت بالمادة فإن هذا الاتصال لا يؤثر في روحانيتها لأن العقل يستطيع التعقل بالمادة وهو مفارق عنها."وهذه الصور عند ابن باجة على أصناف أربعة أولها صور الأجسام المستديرة وثانيها العقل الفعال أو العقل المستفاد وثالثها المعقولات الهيولانية ورابعها المعاني الموجودة في قوى النفس وهي الموجودة في الحس المشترك وفي قوة التخيل وفي قوة الذاكرة"،(1) ويطلق ابن باجة على المعقولات من هذه الصور اسم الروحانية العامة كما يطلق على ما دونها وهي الصور الموجودة في الحس المشترك اسم الروحانية الخاصة، ويرى ابن باجة أن الأفعال الإنسانية كلها متصلة بالصور الروحانية على أوجه مختلفة من الاتصال، فهنالك أفعال غايتها الصور الروحانية الجزئية، كما أن هنالك أفعالا غايتها تحصيل الصور الروحانية العامة التي هي أكمل الصور الروحانية على الإطلاق".(2)

وكذلك فإننا نراه يشير إلى عقل واحد أزلي للإنسانية أما العقول الإنسانية الجزئية فإنها فانية لا تبقى بعد الموت، إلا إذا استطاعت أن تتخيل الجزيئات على نحو يجمع بين الإحساس والتعقل، وحينئذ يحق لها أن تبقى وتلقى الثواب والعقاب.

وهذا العقل الأزلي الواحد للإنسان هو الذي يصل إلى الإتحاد بالعقل الفعال، ولهذا فإنه لا يصل إلى هذه المرتبة إلا النفر القليل من بني البشر وهؤلاء هم المتوحدون الذين يبلغون هذه المرتبة بأفعالهم الصادرة عن الروية وأساسها الفعل الحر الاختياري وهو الفعل الذي يشعر فاعله بغاية يقصدها".(3)

وهذا هو الفعل الانساني الحق وهو على عكس الفعل البهيمي الذي لا غاية مقصودة منه " والإنسان الروحاني الكامل هو الذي يتصل بأرق

1-الموسوي موسى، مرجع سابق ، ص 191.

2-الموسوي موسى، مرجع سابق ، الصفحة نفسها .

3-أبو ريان محمد علي، مرجع سابق، ص ص 557-558.

أنواع الصور الذي هو أسمى وأمجد صفات المتوحدين في المدينة الفاضلة، ومثل هذا الإنسان يستطيع أن يعقل ذاته وذوات العقول الهيولانية والعقول بالفعل، وحينئذ يتصل بالعقل الفعال الذي هو أقصى غاية من غايات الكمال".[1]

والخلاصة أن المتوحد الذي يعيش طبقا لدواعي العقل وينمي عقله في جو من الحرية الخالصة، ولا يتسنى لذلك إلا باعتزال المجتمع، والعكوف على تعليم نفسه بنفسه، ثم الإتصال بقرنائه لتكوين دولة الغرباء داخل الدولة الغير كاملة فيكونون كأصدقاء تقرر المحبة نظام جماعتهم وهم السعداء حقا والخالدون الذين أصبحوا أنوارا مشرقة تجد نفوسهم راحتها في الإتحاد بالفعل الأعلى على مصدر الفيض والنور، كما أن ابن باجة في تأليفه :"تدبير المتوحد" يدعو إلى تعزيز العقل ومحاربة الميول الصوفية أصحاب الحكمة الذوقية ويرى أن الكمال الإنساني لا يتأتى إلا بالنظر العقلي والإرادة والاختيار لا بالإلهامات أو ما عبر عنها بالخيالات الصوفية.

وعلى إثر التحدث عن مراحل التدرج للارتقاء إلى درجة التوحد يتبادر لدينا سؤال آخر: هل أن هدف الفيلسوف من التدبير هو تكوين وتأسيس ذات المتوحد فقط؟ أم يسعى إلى تأسيس مدينة بالفعل؟ ظاهر القصد من التدبير هدف مزدوج: فمن جهة يهدف إلى تكوين المتوحد وهو الإنسان الفاضل بالتمام إلى الوصول السالمدينة الفاضلة، لكن لما كانت المهمة الأولى والملحة بالنسبة للمدينة الناقصة في تدبير المفرد أولا، فإن تدبير المتوحد يستهدف تدبير هذا المفرد (الذات) أما تدبير المدينة فقد قيل فيه في العلم المدني وكان هذا سببا كافيا لينكب ابن باجة على تدبير الفرد، عقل الإنسان المفرد قصد بلوغ أكمل وجوداته، أي الارتفاع به إلى أعلى مستوى من الحياة العقلية إلى درجة الفيلسوف الذي ينظر إلى كل شيء بعين العقل، فيرى العقل في كل شيءويصير هو إياه، وتلك هي السعادة سعادة المفرد، ومن جهة ثانية يهدف التدبير في نهاية المطاف إلى إيجاد المدينة الكاملة،

[1]- الموسوي موسى، مرجع سابق، ص ص 191-192.

ذلك أن التدبير يكون داخل المدينة لا خارجها، فالإنسان مدني بالطبع والمتوحد إنسان قبل كل شيء وهو يريد أن يستكمل أفضل وجوداته ليس العقلية وحسب بل المدنية الاجتماعية أيضا، وهكذا فبما أنه يعيش في مدينة ناقصة وهو فيها كالنابت بالمعنى الذي شرحناه سابقا، فإنه مطالب بالعمل على أن يكثر فيها النوابت أمثاله حتى تتحول إلى مدينة كاملة، إذ وجودهم هو سبب حدوث المدينة الكاملة لكن بعد حصولها تكون نهاية النوابت لأن من خواص المدينة الكاملة أن لا يكون فيها نوابت." فتدبير المتوحد وتدبير المدينة وجهان متكاملان وخط السير فيها واحد: وهو الانتقال من الكثرة إلى الوحدة وذلك هو المعنى العميق للتوحد، وهكذا فكما يهدف التدبير إلى التوحد بالانتقال من مستوى العقل الفردي المتكثر بأصوله الحسية التي هي الموضوعات المادية إلى مستوى العقل الكلي العقل الواحد بالعدد أي العقل الذي معقوله هو بعينه وهو واحد غير متكثر".[1]

كما أن النظر من هذه الجهة هو الحياة الآخرة وهو السعادة القصوى للإنسانية المتوحدة كما يهدف التدبير إلى هذا النوع من التوحد على صعيد العقل يرمي كذلك إلى التوحد نفسه على صعيد المدينة، فالمدينة الكاملة عند ابن باجة "واحدة تضاد سائر السير وهي وحدها المناسبة للأمر الطبيعي للنفس، أما المدن الأخرى الناقصة فهي كثيرة والكثرة غير طبيعية للنفس"،[2] و"عليه فالمدن الناقصة كثيرة بتعدد عقول سكانها وبكثرة آرائهم واختلافها، الشيء الذي يسري على أفعالهم، أما المدينة الكاملة فسكانها كلهم على رأي واحد.

1- الجابري محمد عابد، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1981، ص190.

2- ابن باجة، تدبير المتوحد، مصدر سابق، ص ص 80-81.

خـاتـمـة

كما ذكرنا سابقا فابن باجة عاش حياة قصيرة عانى فيها اغترابا شديدا انعكس في مؤلفاته وخاصة "تدبير المتوحد" وانتهت حياته بمأساة مروعة حيث قتل مسموما وكان كتابه بحق عمل يصور حياته الخاصة وتأملاته الداخلية ويعتبر هذا العمل الفلسفي الفريد رد شخصي لحياة مضطربة في زمن مضطرب ويظهر وجهة نظره الأصيلة حول الدور الخاص بالفيلسوف في ظروف غير مواتية.

ويعتبر كتابه الذي ضمنه ابن باجة فلسفته العقلية ثورة ليس على المستوى المعرفي فحسب بل ثورة اجتماعية حين قرر أن الفرد إذا تركز في نفسه وتوحد في ذاته، ولم يترك للمجتمع سلطانا على تفكيره، ولا للعرف السائد سيطرة على عقله، استطاع بتأملاته الخاصة أن يدرك أرفع الحقائق منزلة وأسماها قدرا.

وإذا كان الغربيون قد استخدموا مصطلح الاغتراب بمختلف دلالاته وبطروحات جديدة فقد سبقهم ابن باجة في ذلك.

لقد عالج الفلاسفة الغربيون وبحثوا في ظاهرة الاغتراب ولكنهم لم يعيشوا الاغتراب من حيث هو تجربة وجودية ذاتية، أما ابن باجة فقد عالج هذا الطرح بوصفه تجربة خاصة وعبر عنها من خلال كتاباته الخاصة وتأملاته الذاتية ويبدو جليا في مؤلفه "تدبير المتوحد".

إن القدرة على التفلسف والاندهاش هي من أهم أسباب اغتراب المتوحد لدى ابن باجة لكونه فيلسوفا ذو قدرة على ممارسة التأمل الذي هو تجريد ومفارقة الظواهر والوقائع وإدراكها إدراكا حقيقيا، لكونه عالج الاغتراب عند المتوحد الغريب الرأي لا الوطن ولا الذات فالإبداع الفلسفي الذي تميز به ابن باجة في الغرب هو نتاج موقف عزلة، ونتاج وجود مساحة بين الفيلسوف وبين الواقع بالرغم من الزمن الذي عانت فيه الفلسفة والعلوم العقلية معاناة شديدة، ولكن على ابن باجة أن يقف مدافعا عن الفلسفة أمام العداء ومحاولات التشكيك السائدة في عصره

ضد الفلسفة، ولهذا كان محور فلسفة الإنسان، فقد عالج الاغتراب عن طريق الإنسان الروحاني الكامل الذي يتصل بأرقى أنواع الصور الذي هو أسمى وأمجد صفات المتوحدين في المدينة الكاملة، والذين يعيشون طبقا لدواعي العقل وتنمية عقولهم في جو من الحرية الخالصة ولا يتسنى لهم ذلك إلا باعتزال المجتمع والعكوف على تعليم الواحد منهم نفسه بنفسه ثم عليه أن يتصل بقرنائه لتكوين دولة الغرباء داخل الدولة الغير كاملة وهم السعداء حقا والخالدون، وبهذا فالذي يتمسك بالصور الروحانية، هو الغريب وهو المتوحد.

وفي الختام نرى أن ابن باجة قد أسس في الفلسفة الإسلامية ولأول مرة اتجاها إنسانيا ذو ركائز ميتافيزيقية ستحدد بوضوح من بعد عند كل من ابن طفيل وابن رشد ومن هنا سيكون "حي بن يقظان" لابن طفيل هو التجسيد المتطور لمتوحد ابن باجة في مرحلة جديدة هي مرحلة دولة الموحدين حيث الازدهار والاستقرار والتفتح العقلي.